

الامامة والسياسة

[131] قال له علي: ويلك وما فعل عثمان، رأيتني عائداً باً من شر ما تقول، وإني إن الذي فعل عثمان لمخرأة على من لا دين له، ولا حجة معه، فكيف وأنا على بينة من ربي، والحق معي، وإني إن امرأ أمكن عدوه من نفسه، فنهش عظمه، وسفك دمه، لعظيم عجزه، ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فوالله دون أن أعطى ذلك ضرباً بالمشرفي (1)، يطير له فراش (2) الرأس، وتطيح منه الكف والمعاصم، وتجد به الغلاصم (3) ويفعل إني بعد ذلك ما يشاء. وإني يا أهل العراق، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم، فقالوا: أيعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إني أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت (4)، وأراهم جادين في باطلهم، وأراكم وانيين في حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لي عاصين. أما وإني لئن طهروا عليكم بعدي لتجدنهم أرباب سوء، كأنهم وإني عن قريب قد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم، وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش (5) الضباب، لا تأخذون حقاً، ولا تمنعون له حرمة، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحبسونكم، ويدينون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف ونزل الخوف، لندمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التذكار. فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين أن قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً، أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال: لا تكرهون إمرة معاوية، فإن إمرته سلم وعافية، فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنها الحنظل (6)، وعدا كان مفعولا، فأما إمرة معاوية فليست أخاف عليكم شرها، ما بعدها أدهى وأمر. كلام أبي أيوب الانصاري ثم قام أبو أيوب الانصاري، فقال: إن أمير المؤمنين أكرمه إني قد أسمع من كانت له أذن واعية، وقلب حفيظ، إن إني قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل _____ (1) المشرفي: السيف المنسوب إلى مشارف الشام وهي بلد جيدة السيوف. (2) فراش الرأس أعلى الرأس. (3) الغلاصم: جمع غلصمة وهي عقدة الزور، أي تقطع منه الرقاب، وتجد أي تقطع. (4) خبت: خفت ونامت. (5) تكشون كشيش الضباب: تتفرقون وتزاحون عن أماكنكم كما ينقشع الضباب عن مكانه في السماء. (6) أي لرأيتم الرؤوس تطير عن أجسامها فتصير كالحنظل وهو نبات مر يشبه الرمان في شكله المستدير. (*)